مجلة القرطاس
مجلة علمية محكمة نصف سنوية
تصدر عن الجمعية الليبية للعلوم التربوية والإنسانية ISSN 3135-4564
https://alqurtas.alandalus-libya.org.ly/ojs/index.php/qjhar/index

الحياة الأدبية بين النشـــــأة والتطـــور إبَّان الحكم العثمانـــــي - مصطفى بن زكـــري ـ أ نموذجاً -

إبراهيم ا محمد السلوقي *
كلِّية التّربية أبى عيسى ، جامعة الزاوية ، ليبيا
Email:eb.alslugi@zu.edu.ly
رقم الاوركيد 0009-0000-6699-5600
تاريخ الاستلام 2026/6/17م تاريخ القبول 2026/7/25م

Literary Life between Origins and development during Ottoman Rule Mustafa Bin Zari "As a Model"

Dr. Ibraheem AMuhimid Al-Salouqi
Al-Zawiya University/Abi-Essa Faculty of Education
Email:eb.alslugi@zu.edu.ly
رقم الاوركيد 0009-0000-6699-5600

Abstract:-

The image of Libyan Social and literary life during the Occupation of Libya is similar to Other periods in Arab Societies and environments. literary activity remained Stagnant and inert until the beginning of the twentieth century, given the time difference and the general influences present in various Arab environments across the Arab World.

Keywords:
The writer, Scientific institutions, the Society, Coloization

الملخـــــــص :

إنَّ صُورة الحياة الاجتماعية الأدبية الليبية خلال فترة الاحتلال لليبيا تُعتبر هذه الفترة كغيرها من فترات المجتمعات والبيئات العربية الأخرى فقد كانت حالة الركود والجمود في الحركة الأدبية حتى بداية القرن العشرين بالنظر إلى الفارق الزمني حسب المؤثرات العامة الموجودة لدى البيئات العربية في مختلف الأمصار العربية .

الكلمات المفتاحية : الأديب - المؤسسات العلمية - المجتمع - الاستعمار

حقوق النشر © للمؤلف/للمؤلفين 2026 ينشر هذا البحث بموجب رخصة المشاع الإبداعي Creative Commons (CC BY-NC 4.0)

المقدمة :

الأديب والكاتب " مصطفى بن زكري " يقدم نموذجا فريدا وواضحا باعتماده على الموروث الشعري القديم ، متمثلا في الخصائص والصور والعناصر بسبب التجاوز والتأثير إلى عالم جديد وأفق واسعة تبين حداثة الشعر في نطاق مسؤولية النسق المألوف للقصيدة الليبية والعربية في فترة ازدهار الأدب العربي.

الأديب " مصطفى بن زكري " أديب وشاعر معاصر ظل ارتباطه بالتراث الذي يجذبه إلى العصور العربية القديمة ، متمثلة في التراكيب والصيغ والصور لذا لم يخضع لسيطرتها بل استطاع أن ينقل تجربته الأدبية والفكرية بكل واقعية ، فعودة الشاعر إلى المخزون التراثي يجعل منه صورا شعرية لأنها تمثل النهل من الموروث القديم فهو شاعر من طراز المدرسة القديمة ، حافظ على الإطار التقليدي والمنهج الكلاسيكي ، تلبَّس في شعره ظلالا من أشعار الأندلس : رقة الأسلوب ، وقصر النفس ، أكثر أشعاره في وصف الجمال وَالحب وَالغزل ، (1) فما هو إلاَّ دليل على ذكاء الأديب والشاعر وكيفية تعامله مع الهوية العربية الثقافية القديمة .

رؤية البحث العلمية :

1-التعرف على الرواد والكتاب والأدباء الليبيين فترة الحكم العثماني وما بعده .

2-دراسة البناء الإيقاعي ، ومدى استخدامه الموسيقى الداخلية والخارجية ، وما تحققه من دلالات وجدانية ، وعاطفية ، وَوزن القصيدة وقافيتها .

3-التعرف المعجم الشعري للأديب " مصطفى بن زكري " باعتباره مفتاح يستعمله في تشكيل مادته اللغوية من الموروث الأدبي .

4-بيان وتوضيح الصورة المستمدة من الواقع المعاش ومن الطبيعة .

مشكلة البحث :

1-تشجيع الأدباء والكتاب الليبيين في تعزيز الثقافة ونشرها بين أفراد المجتمع .

2-التطرق إلى الحياة الأدبية والفكرية ، في ليبيا ودور الأديب " مصطفى بن زكري " في نشأتها وتطورها عبر المراحل الزمنية .

3-التراث بالمفهوم العام ركيزة عامة وأساسية لأي أديب أوْ كاتب أوْ شاعر .

أهمية الموضوع :

1-تبرزُ أهمية البحث إلى دور الأديب ومدى تفاعله مع ثقافة عصره وطرق إسهاماته في ترسيخ قيم الانتماء والوعي بالجنسية الوطنية والقومية .

2-توضيح وبيان دور الأدباء واسهاماتهم الفكرية والأدبية في تطور الأدب الليبي من خلال الوعي بالقضايا الاجتماعية والوطنية تجاه المجتمع .

3-دراسة الحياة الأدبية والحركة القومية في ليبيا ونشأتها وتطورها عبر مراحل الحكم العثماني والغزو الإيطالي والانتداب البريطاني ودور الأدباء في نشر الأدب .

منهج البحث :

يعتمد البحث على المنهجين التحليلي والتاريخي من حيث قراءة ودراسة النصوص الأدبية وتفسيرها وتحليلها بالرجوع إلى المصادر والمراجع العلمية التي تربط العلاقة الوثيقة بين الحياة الاجتماعية وفترة الاستعمار وَ تطور الحياة الأدبية والإنسانية .

الهدف من البحث :

1- التعرف على إسهامات الأديب " مصطفى بن زكري " ومدى ترسيخه للهوية الوطنية الليبية .

2- بيان العوامل المؤثرة في تكوين شخصية الأديب " مصطفى بن زكري "

3- إبراز رؤية الأدباء المعاصرين له ومدى الأثر الأدبي الذي أحدثه في تطور الأدب الليبي إبان الحكم العثماني .

4- توعية القارئ بأهمية الأدب الليبي ودوره الفعال في بناء الهوية الوطنية .

5- الكشف عن أنماط الأساليب التي استخدمها الشاعر " مصطفى بن زكري " في شعره ومحاولة تحليل وظائفها النفسية والدلالية والفنية .

6- كتابات الشاعر والأديب " مصطفى بن زكري " باعتبارها ذات صبغة فنية جمالية تسهم في تشكيل التجربة الشعرية .

7- إبراز الخصائص الفنية الجمالية لشعر " مصطفى بن زكري " التي اعتمد عليها في التعبير عن المشاعر والأحاسيس .

صعوبات البحث :

هناك عدة صعوبات ومشاكل في البحث منها :

1-قلة المصادر والمراجع العلمية التي لها علاقة مباشرة بالبحث ، وبيان حياة الأديب " مصطفى بن زكري " خلال الحكم العثماني وما صاحبها من غزو إيطالي وبريطاني لليبيا .

2-كيف استطاع الأديب " مصطفى بن زكري " أن يسهم في دور الأدب الليبي ؟.

3- بيان وتوضيح الأسس والعوامل التي صاحبت الأديب " مصطفى بن زكري " في تكوين شخصيته العلمية والأدبية .

4- طريقة العمل على إثراء المكتبات العربية ببحوث أدبية تبين دور الأدباء في نشر الثقافة والأدب .

أسباب اختيار الموضوع :

هناك عدة أسباب ودوافع لاختيار الموضوع منها :

1-التعرف على الصعوبات والمشاكل التي واجهت الأدباء الليبيين زمن الحكم العثماني ، وفترة الاحتلال الإيطالي والانتداب البريطاني .

2-النشاط الأدبي والثقافي للأدباء ومدى قدرتهم الأدبية والفكرية على التأليف والإبداع

3-موضوع الدراسة منصرفة كليا إلى الأديب " مصطفى بن زكري " ودوره الريادي في نشأة الأدب الليبي باعتباره ومزا ورائدا من رواد الكلمة والفكر.

4-تسليط الضوء على أعمال الأديب " مصطفى بن زكري " مع تحديد موقعه الأدبي والفكري من الحركة الفنية والأدبية في ليبيا .

5-نظرة الأدباء والنقاد إلى مرحلة الأديب " مصطفى بن زكري " ونتاجه الأدبي .

6-الرغبة الأدبية في الوقوف على دراسة تُسهم وتُبين وتكشف جانبا من جوانب التراث ألأدبي الليبي ورمزا من رموز الحضارة الليبية الأدبية " مصطفى بن زكري .

أولا - التعريف بصاحب الديوان الأديب و الشاعر " مصطفى بن زكري" حياته – مولده – نشأته التاريخية .

مولده :

وُلد الشاعر الأديب : مصطفى بن محمد بن إبراهيم بن زكري الطرابلسي المغربي بمدينة طرابلس في العهد العثماني عام 1853م في زمن خلافة الوالي العثماني " مصطفى نوري باشا " عام 1852م 1855-م ، يرجع نسبه إلى قبيلة تُعرف " بأولاد زكري " بالزاوية الغرب بمنطقة " صرمان " التي يرجع أصلها إلى قبيلة فخذ العمُّور من " بني هلال " التي كانت تقطن شمال إفريقيا بعد عودتهم وانحدارهم من مدينة " الأندلس " (2) .؛ إذْ كان لعودتهم الأثر الكبير في المجتمع الليبي فترة الاحتلال العثماني ، عملوا بالتجارة في الأسواق الليبية كانت حياتهم المادية مرموقة وعالية ، من ذوي المكانة المحمودة والجاه الرفيع ، أمَّ امُّه تُسمى بـــ " زينب بن مصطفى بن قر جي " .

أوُفد والد " مصطفى " إلى مدينة وولاية " طرابلس الغرب " من مدينة " جورجيا " وهي إحدى الولايات التابعة للدولة " التركية " إبَّان " الخليفة العثماني " يوسف

باشا القرما نللي " عام 1795 م – 1832م ، فوجد من المكانة والترحاب والوجاهة والقربى لدى الوالي والسلطان " يوسف باشا " صار من أعيان الولاية الطرابلسية .

نشأته العلمية والأدبية :

نشأ ودرس الأديب " مصطفى بن زكري " في طرابلس تلقى علوم الدين والعربية على أستاذ عصره " محمد كامل مصطفى " (3) عام 1315هـ تعلم اللغة التركية ؛ لأنها لغة الدواوين والدولة الحاكمة حينذاك ، اختير عضوا في مجلس الولاية أيام " حسني باشا " كُلِّف رئيسا لمكتب الفنون والصنائع بمدينة طرابلس في عهد " رجب باشا " ، كان يجمع إلى ذلك وظيفة مستشار الولاية العثمانية ، قام برحلات علمية إلى " مصر" وَ " فـرنسا " أدَّى فريضة الحج ، طبع ديوانه بـ " مصر" عائلة ثرية وغنية كانت من وجهاء الولاية الطرابلسية في ذلك العهد ، إذْ يعتبر الأديب " مصطفى " أكبر أفراد العائلة .

نسبه :

يرجع نسبه إلى أبوين ثريين منعمين بالخير الكثير والوجاهة في الولاية الطرابلسية التي كانت " مسقط الرأس والإقامة ، ومسرح الحياة العلمية والأدبية (4) إذْ قال :

طَرَابُلْسَ الْغَرْبَ لِـي وَطَنٌ (5) * * * أَعَـزُّ مَـكَـانٍ وَأَكْـرَمُ حَـيِ
وتم ما قصدت فاعذر ناسخا * * * سَبْع وَعَشَرَ عُمُرُهُ يَا ذَا الْحَجَا

أولاً ـ الأسس والمعايير في إعداد وتكوين شخصية الكاتب والأديب :

يعتبر التكوين العلمي والأدبي من الأسس الرئيسة في صقل مواهب الأديب إذ تبين قدرته على المعرفة والإبداع في النتاج الأدبي والثقافي التي تبين قدرته على التعبير والتفكير ، لذا نقف أمام شخصية علمية فذة في المجال الفكري والثقافي والأدبي ألا وهي شخصية الأديب " مصطفى بن زكري "

أ / نشأ " مصطفى بن زكري " في عائلة ثرية بين أبوين منعمين كان هو أكبر أولادها في طرابلس التي كانت مسقط رأسه .

ب / حظي بالوجاهة والقربى لدى الوالي والحاكم العثماني .

ج / عاصر فترة الحكم العثماني والغزو الإيطالي والانتداب البريطاني .

ثانيا ـ مصادر ثقافة الأديب " مصطفى بن زكـــري " .

كان الأديب نشطا أثناء دراسته في المرحلة الأولى من العمر إذْ التحق بدراسته الدينية بمدرسة " عثمان باشا " وَ مدرسة " شائب العين " بولاية طرابلس شارع

ميزران وَ جامع " قرجـــي " بطرابلس تلقى العلوم العربية الإسلامية وَ العلوم العربية على يد الشيخ الفاضل " محمد كامل مصطفى " وفي عام 1828 – 1900م كان له الأثر البارز في نشر العلم بولاية " طرابلس بعد الرجوع من " مصر" حيث تتلمذ على يد الإمام والعلامة الشيخ " جمال الدين الأفغاني " درس العلوم الدينية منها " كتاب " الصحيحين " وَ " النووي " وَ تفسير" البيضاوي " ، وَ "كتاب " السعد " في علوم البلاغة العربية في علم " البيان " وَ " البديع " وَ " أمهات الكتب في علوم اللغة منها " النحو" وَغيرها ، ولع الأديب " مصطفى بن زكري " بعلم " النحو " فاطلع على أمهات الكتب في علوم اللغة من " شذور الذهب " لابن هشام الأنصاري 762هـ " وارتشاف الذهب من لسان العرب " لأبي حيان الأندلسي " ت 7415هـ بعد أن فرغ من دراستهما ومن شدَّة حبه للكتابين أنشد فيهما قائلاً :

كَيْفَ نَخْشَى الْفَقْرَ مِنْ شِدَّةِ الْجُهَالِ * * * بَعْدَ مَا نِلْنَا شُذُورَ الذَّهَبِ
وَارْتَشَفْنَا مِنْ ثَنَايَا لَفْظِهِ * * * فَزَهَوْنَا فِي ارْتِشَافِ الضَّرْبِ

قـــرأ شافية ابن " الحاجب " 646هـ ، في علوم " الصرف " منذ صغره حيث كان عمره " سبعة عشر عاما " فهمها فهما دقيقا حتى أنه أعدَّ أرجوزة نظم فيها حوالي "231 " بيت تحتوي على القواعد والأسس في علم " الصرف " التي وضعها وبينها " ابن الحاجب " في شافيته التي نُشرت في ذيل الديوان تحت عنوان " نَزْعَةُ الْأَلْبَابِ فِي نَظْمِ قَوَاعِدِ الشَّافِيَة " ، (6) قال :

وَتَمَّ مَا قَصَدْتُ فَاعْذُرِ نَاسِخاً * * * سَبْعَ وَعَشَرَ عُمُرُهُ يُا ذُا الْحَجَا

عاد الأديب " مصطفى بن زكري " إلى البلاد وبعد أنْ ذاع صيته في الوسط الاجتماعي حتى لُقب " بالأزهر الصغير"
الأديب " مصطفى بن زكري " شاعرا رقيق الشعر ينطق عن طبع وملكة متدفقة البلاغة ، له في الأدب صولات وجولات كثيرة وخبرة واسعة بشؤون السياسة (7) ومن أشعاره قال :

عَـــبَثَ الـنَّـسِـيـمُ بِـقَـدِّهَـا * * * أَلِفَ الذَّوَائبُ فَوقَ رَدْفٍ مَائِلِ
مَاكُنْتُ أَحْسَبُ قَبْلَ ذَلِكَ أَنْ أَرَى * * * أَلِفاً يُحَرِّكُهَا حُدُوثُ الْعَامِلُ

ثالثا ـ الآثار العلمية والأدبية للأديب " مصطفى بن زكري " :

1- عميد الأدباء في مدينة طرابلس .
2- على جانب كبير من المعرفة والعلم .
3- ذا خبرة واسعة في مجال السياسية والحكم
4- تقلد الكثير من المناصب في ولاية " طرابلس " الغرب ، كلف بعضوية مجلس إدارة " ولاية طرابلس " أيام الوالي " حسن حسني باشا " عام 1903م -1906م ولِمَا عُرِف عنه من حصافة وبعد النظر وحدة الذكاء ، عُيين رئيسا لمكتب " الفنون والصنائع بمدينة طرابلس " في عهد الوالي " رجب باشا " عام 1906م – 1909م .
5- عُيين بمهمة " مستشار الولاية " الطرابلسية .
6- عمل بالتجارة لفترة زمنية والتي سافر من أجلها إل " مصر" وّ " باريس " وَ الحجاز " .

رابعا ـ الأثار العلمية والأدبية " لمصطفى بن زكري " :

الأديب " مصطفى بن زكري " من أبرز الأدباء الليبيين الذين تركوا أثرا واضحا وملموسا في تطور الأدب الليبي الحديث وتبين جليا وواضحا من خلال ديوانه الشعري الذي يبين على : -

أ / أسلوبه يدل على خصائص النثر في هذا العصر.

ب/ استخدام النواحي البلاغية للمعاني .

ج/ احتوائه على عدة فنون من غزل و مدح .

د / استعمال الأوزان الأندلسية لقصرها وخفة روحها .

هـ/ ألف العديد من الأراجيز الشعرية في الوعظ والإرشاد

لم تتوقف كتابات وثقافة الأديب " مصطفى بن زكري " عند حدود العلوم القديمة بل أفاد من العلوم المستحدثة حيث تعلم اللغة الفرنسية والتركية التي كانت لغة سائدة أيام الحكم العثماني ، إذْ تعكس بعض أشعاره اطلاعه على بعض علوم العصر منها الهندسة التي استعمل كثيرا من المصطلحات العلمية وأشار إليها بقوله : تفعيلة البسيط (8) .

قُلْ لِلْمُهَنْدِسِ أُتْرُكْ بِرِجْلِ الْعَدْلِ * * * اَطَلَّت بَحْثَكَ فِي قَوْلٍ بِلَا عَمَلِ
أَمَـا تَرَى مُسْتَقِيمَ الْجِسْمِ مُنْحَنِياً * * * مِنْ كَسْرِ لَحْظٍ رَمَاهُ اللهُ بِالْكَسَلِ
وَأَسَّسَ الْقَلْبُ مِنْ ضِلْعَيْهِ زَاوِيَةً * * * وَقْفاً عَلَى حَرْقِ الْأَشْجَانِ مِنْ قَبْلِ

خامسا ـ ديوان الأديب " مصطفى بن زكري " . (9):

المطبوع عام 1310هـ ـ كُتب عليه " هذا ديوان مصطفى بن محمد بن إبراهيم بن زكري الطرابلسي المغربي ، وفي صدره يقول شاعرنا : " هَذَا مَا سَمَحَ بِهِ فِكْري ، مِنْ طَرَائِف الْأَبْيَاتِ الْغَزَلِيَّة ، وّلّطّائِف النُّكَاتِ الْأَدَبِيَّة ، وَلَا يَغُرُّكَ مَا أَدَّعِيهِ ، وَلَسْتُ مِنْ أَرْبَابِهِ وَذَوِيهِ ، فَغَايَةُ مَرَامِي ، وَمْرَمى سِهَامِي ، أَنْ أَرُدَّ مِنْ فَمِ الْأَدَبِ رِضَا بَهُ ، وَأَرْتَشِفُ مِنْ رَاحَةِ (الشّعْرِ) حُبَابَهُ ، وَأَقْرَعُ بَابَ مَعَانِيهِ ، وَأَسُومُ شَبَابَ أَغَانِيهِ .... وَلَمَّا تَفَقَّدْتُ شَوَارِدهَا ، وَتَقَفَيْتُ أَوَابِدهَا ، صَادَفْتُ جُلَّ الْأَبْيَاتِ فِي جُبِّ الْخُمُولِ مَقْبُوراً وَقَدْ أَتَى عَلَيْهِ حِيناً مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً . (10)

سادسا ـ الأسلوب الأدبي " لِمصطفى بن زكري" .:

الأسلوب يدل دلالة تامة على " خصائص النثر " في هذا العصر، مع استعماله المحاولات البديعية للمعاني .

ديوانه الشعري يحتوي على عدة فنون منها المدح وَ الغزل وَمنظومات التعليم في السلاح وَ الدعة إلى حب التجنيد وَ الوعظ والتوسل ، وعلى الجملة فإن ابن الأديب " مصطفى بن زكري " شاعـــر عصره وشيخ الشعراء الليبيين كما يبين " ديـــوان شعره " ، وقد استعمل الأوزان الشعرية " الأندلسية " لخفتها وَ قصرها وَ وروحها ، قلد الأندلسيين وجاراهم في فن الموشحة ، كان يرى فخرا في تفوقه على الشعراء الأندلسيين . (11) أطرف ما في الديوان أنها محكمة بالحب ، وَ قاضى الغرام وَ الأدوار التي يعيشها العاشق والولهان . (12) يقول الأديب " مصطفى بن زكري "

أيُّهَا الدَّاعِي إلَى السُّلْوَانِ دَعْ مَنْ لَا يُجِيبْ
لَا تَـسَلْنِي كَـيْفَ حَـالِي بَـيْنَ وَاشٍ وَرَقِـيـــــبْ
أنَا لَا أَهْـــــتِفُ بِـالـــــشَّكْوَى إلَى غَـيْرِ الطَّبِيبْ

" الأديب مصطفى بن زكري " كان حلقة بين شعراء الصنعه وَ شعراء الطبع ، يكثر ألوان البديع في شعره ، يجئ به سمحا عير متكلف ، إذ يعتبر نقطة الالتقاء بين القديم والحديث والنهضة الشعرية الأدبية الحديثة التي كان من طلائعها .

سابعا ـ نماذج من شعر الأديب " مصطفى بن زكري " :

1- من قصائده الدينية منها :

لَا يَسُرَّنَّكَ ابْـتِـسَـامُ أَمَـانِـيـــــ * * * كَ وَلَا تَـــسْتَـفِـزَّكَ الْـــبَـأْسَـاءُ
وَاصْطَبِرْ وَاعْتَبِرْ بِحَزْمِ أُوْلِى الْعَزْ * * * مِ إذَا عَزَّ فِي الـمُصَابِ الْـعَزَاءُ

أَقْبَلَ الْيُسْرُ يَقْتَفِي أَثَرَ الْعُسـ * * * رُ ، وَلِـلْـكَـرْبِ شِـدَّةٌ وَرَخَـاءٌ
لَيْتَ شِعْرِي مَنْ يَقْرِضُ اللهَ قَرْضاً * * * حَسَناً كَيْفَ أَجْرُهُ وَالْجَزَاءُ

2- ومن قصائده في المدح :

أنَّه يمدح الشيخ ابن الحبيب حين هاجر إلى مدينة " تونس " ومدح الشيخ " البويصري " مقرظا رسالته في البيان كما أنَّه مدح السلطان " عبد الحميد وَ مدح الإمام " المهدي السنوسي " بقصيدة دالية منها :

يَا خَيْرَ مَهْدِي وَأَفْضَلَ مَنْ هَدَى * * * فِي آخِرِ الـزَّمَانِ الْـعِبادَ وَأَرْشَـدَا
يَا خَيْرَ مَـنْ يَدْعُـوا لِـسُنَّـةِ جَـدِّهِ * * * وَأَجْمَـلَ مَنْ قَرَأَ الْكِتَـابَ وَأَسْنَدَا
لَوْ لَمْ يَكُنْ غَيْرَ الْقَرَابَةِ شَـاهِدٌ * * * لَكَفَى فَكَيْفَ وَقَدْ هَدَى بِكَ مَنْ هَدَى

3- له أرجوزة في الوعظ والإرشاد منها :

وَظَـائِفُ الْإِنْـسَـانِ فِي دُنْيَـاهُ * * * أَنْ يَعْبُدَ اللهُ وَلَا يَـخْـشَـاهُ
وَأَنْ يَكُونَ رَاضِياً بِمَا قَضَى * * * وَلَمْ يَكُنْ لِحُكْمِهِ مُعْتَرِضاً
وَاعْلَمْ بِأَنَّ الْعِلْمَ نُورٌ وَهُدَى * * * وَالْجَهْلُ لَا يَأْتِي بِخَيْرٍ أَبَدَا

قال عنه الأديب " المصراتي " بأنه: شاعر الوطن من الطراز القديم من المدرسة التقليدية القديمة التي حافظت على الإطار التقليدي والمنهج الكلاسيكي ، حيث إنه تلبّس في شـعره ظلالا من أشعار الأندلس مع رقّة وقصر النفس إذْ كانت أشعار في الغزل والحب والوصف والجمال . (13)

4- امتاز شعر "ابن زكري " بالروح الغنائية الطيبة منها :

أَنْتَ رُوحِي وَرَاحَتِي وَحَيَاتِي وَوُجُودِي وَمسْمَعِي وَعَيَانِي
أَنَـا مِـنْ حُبِّكِ الْـغَنِي وَلَكِنِّي فَقِـيرٌ لِـحُسْـنُكِ الْـفَـتَّـانُ
أَسَرَ الرُّوحَ وَالنُّهَى بِصِفَاتٍ أَبْـدَعَـتْ خَـلْـقَ الـرَّحْـمَـنِ
وَجْهَهُ مِنْ شَقَائِقَ الْبَدْرِ لَكِنَّ خَدَّهُ مِنْ شَقَائِقِ الرَّحْمَنِ (14)

ثامنا ـ مكانته الأدبية عند أعلام ليبيا :

وصفه الكثير من أعلام عصره بنا يليق بمقامه الأدبي والعلمي .

أ / وصفه الشيخ " عبد الرحمن البويصري بقوله : في عام 1839- 1935م : أن الأديب " مصطفى بن زكري " " كان يميل إلى الصمت ويعبر عن رؤية فإذا أبدى رأيه فالرأي ما قالت خذام " .

ب / الأديب والشاعر " أحمد الشارف " 1864 – 1959م. يكنُّ للأديب " مصطفى بن زكري " المحبة والودّ كان مُحبا وشغوفا لمجالسته ومنادمته فوصفه بقوله : " كان لي صديقا ، ولي معه أمسيات طيبة ، دارت فيها أحاديث ، وأسمار شيِّقة ، تلك الأيام ولَّتْ ولن تعود " .

ج / كما شهد له كل من أطال النظر في شعره وَأدبه وَ نثره بالمكانة الحسنة .

تاسعا : الأديب "مصطفى بن زكري " والنهضة الأدبية في ليبيا نشأتها تطورها .

قبل الشروع في الحديث عن الحركة الأدبية ونشأتها وتطورها في ليبيا إبان الحكم العثماني والغزو الإيطالي والانتداب البريطاني ، وما صاحبها من ضعف وتخلف في الحياة الاجتماعية والأدبية ، وما صاحبها من ظروف صعبة مرت بها ليبيا خلال الفترة الزمنية منذ بداياتها وتاريخ انعكاسها على الحياة الأدبية وَ الثقافية باعتبارها جزء من الحياة الليبية العامة . (15)

الحركة الأدبية في العهد العثماني الثاني عام1835 -1911م .

في هذه الفترة الزمنية التي مر بها الأدب الليبي وما صاحبه من ظروف سياسية اجتماعية ثقافية نتجت عنها إنشاء بعض من الدور وَالمؤسسات التعليمية وَالمدارس القرآنية وَ الكتاتيب وَالزوايا الدينية العلمية والمعاهد الدينية وَالمساجد وحلقات الدروس وَ المدارس العصرية الحديثة .

أ / المؤسسات التعليمية : التعليم في ليبيا فترة العهد العثماني الثاني لم ينج من العزلة التي فرضها الحكم العثماني التي استمرت ثلاثة قرون بقى التعليم قديما تقليديا تخلفت البلاد عن مسيرة الحياة والتجديد .

ب/ الكتاتيب والزوايا الدينية : العثمانيون سيطروا على ليبيا في القرن السادس عشر ، فالتعليم كان قائما بصفة أساسية في المساجد والكتاتيب التي كانت منتشرة في أغلب البلاد خاصة منها المدارس الأهلية التي تعنى بتحفيظ القرآن في سن مبكرة منها : مدرسة ميزران بـــ طرابلس وَ مدرسة ا لزروق بمصراته وغيرها

ج/ حلقات الدروس في المساجد : منها : مسجد جامع الناقة وَ مسجد سيدي درغوث وَ مسجد أحمد باشا بـــــ طرابلس وَ المسجد العتيق بـــ بنغازي وَ مسجد الحرشة بـــ الزاوية الغربية .

د / المدارس العلمية العصرية الحديثة : مدارس التعليم في ليبيا اقتصرت على المدارس التعليمية التركية والإيطالية تحمل في طياتها بعض العلوم العصرية الحديثة ، مع اهتمامها بنشر اللغة الإيطالية والتركية .

مراحل أساسية أثرت تأثير مباشر في الحياة الأدبية منها :

1- الحركات الإصلاحية في البلاد .
2- المؤسسات التعليمية وَالثقافية وَ الجمعيات وَالنوادي الأهلية والاتجاهات الأدبية وَالأحزاب السياسية وَ دور الصحافة في ليبيا وأثرها في نشر الوعي الثقافي الليبي .

النوادي والجمعيات الأدبية والفكرية :

عام 1943م أنشئت جمعية عمر المختار في مدينة بنغازي ونادي طلبة البعوث في مدينة البيضاء هدفها تطوير الحياة الثقافية والاجتماعية ، خصوصا بعد عودة المهجرين من الشرق والغرب محملين بالتجارب السياسية ودعوتهم للتحرر عن طريق النوادي والمراكز الثقافية التي أسست عام 1920م باشرا ف الأديب أحمد الفقيه حسن ودعوتهم للتجديد لاتصالهم بالمدارس العربية الحديثة منها مدرسة الشعر الحر وَ مدرسة ابوللوا وَ مدرسة جماعة المهجر وَ جماعة الديوان .

وفاة الأديب والشاعر مصطفى بن زكري :

اختُلف في سنة وفاة الأديب " مصطفى بن زكري "يُقال أنها عام 1917م وقِيل عام 1918م ، أيْ : أنَّ عمره حوالي " 64 " أربعة وستون عاما ، وسبب وفاته أنه أُصيب " بـــداء السكري " الذي كان سبباً في وفاته ، دُفن بمثواه الأخير بمقبرة الصحابي الجليل " سيدي مُنيدر " بطرابلس .

لُقِّب الفقيد في مسار الحركة الأدبية بعدة ألقاب كثيرة منها :

1- أنَّه شاعر " طرابلس " .
2- أنَّه " شاعر ليبيا الأول " .
3- أنَّه " شاعر عصره " .
4- أنَّه " شيخ الشعراء الليبيين " .

الأديب " مصطفى بن زكري " أطلق على نفسه لقب " صريع الغرام " في قصيدة حملت العنوان نفسه التي قال فيها :

وَسَل هَل أَتَى عَنْ صَرِيعَ الْغَرَامِ * * * فَـــإِنَّ لَهَـا نَـبَـأ هَـــلْ أَتَـــاكَ
أَنَـا ذَلَـــكَ الْـــعَـبْـدُ فَـأَمْـنُـنْ بِرُقِيّ * * * وَجْدٌ لِلْمَشُوقِ بِأُنْسِ لِقَاكَ

الخاتمـــــــــة :

جعلت عنوان البحث تحت مسمى " الحياة الأدبية بين النشأة والتطور ، مصطفى بن زكري أنموذجا الهدف الذي أسعى إليه في الدراسة الكشف عن عدة قضايا منها ما يتعلق بالغزل وَ المدح وَالأراجيز ، وغيرها ولا سيما مدحه للسلطان " عبد الحميد " وَ " الشيخ عبد الرحمن البو يصري وَ " الشيخ ابن الحبيب " أكدت وبرهنت على براعة وسعة الثقافة التي يمتاز بها الأديب وَ الشاعر " مصطفى بن زكري " قدرته المتميزة على توليد المعاني وتركيب الصور التشبيهية المختلفة الجميلة الرائعة في شعره التي بينت عبقر التي تكشف عن خيال خصب إلى جانب الاحساس المرهف والعاطفة الصادقة ، فالعوامل وغيرها مجتمعة تعكس مدى قدرته الفنية والشعرية على استخدام الصور والتشبيهات البيانية والبلاغية والاستعارات الجميلة وسلاسة الألفاظ وعذوبتها ووضوح المعاني ودقتها ، لذا جاءت ألفاظه ومعانيه متناغمة الأوزان على بحور الشعر المتنوعة والمختلفة .

دراستي للشاعر والأديب " مصطفى بن زكري " توصلت لبعض النتائج الآتية :

1ـ الشاعر الأديب ابن زكري اهتم ببناء اللغة اعتمد على الأسلوب السهل والتراكيب الواضحة والألفاظ الواضحة وقلة التكلف في الصنعة ليتسق اللفظ مع المعنى فاتسمت بالعذوبة والسلاسة والمعاني الواضحة .

2ـ استخدم الخصائص اللغوية من الأساليب الإنشائية بكثرة من أسلوب النفي وَ وأسلوب الأمر، واسلوب النفي و أسلوب المدح وَ أسلوب الغزل .

3ـ معجمه الشعري يشمل ثلاث اتجاهات منها :

أ ـ مفردات المعجم أنه تأثر وتفاعل مع الألفاظ والمفردات الدينية يكون واضحا جليا بين المعجم اللغوي وَ المعجم الديني .

ب: لجأ ابن زكري إلى الطبيعة ليبين اندماجه تحت التيار الرومنسي ، مستخدما مفردات اللغة الحديثة التي تتمحور عنده في التعبير عن الذات وَ الألم وَ الحزن .

ج- اعتمد مفردات اللغة الموروثة التي تعايش معها كما أنه تعامل مع لغة الحداثة .

1ـ ابن زكري اتخذ من الطبيعة صورة واضحة للتعبير عن الذات

2ـ استمد الصورة الشعرية من التراث العربي القديم ، دليل على فطنته وذكائه .

3ـ اعتمد على الموسيقى الداخلية لما لها من جرس موسيقي رنان ، كـــــ الطباق وَ التورية وَ السجع وَ المقابلة .

5ـ تأثر بشعراء العرب القدامى مثل المتنبي وَ والأعشى وَابن الرومي .

6- وضف ابن زكري أسلوب المجاز بنوعيه اللغوي والعقلي وعلاقاته التي كانت لها معان خاصة ذهنه لأن توظيف الكلمات في معان جديدة يرجع إلى قوة التأثير النفسي والعاطفي التي ترتبط بالمجال الفكري الذي تنتمي إليه تلك الكلمات .

7- أسلوب ابن زكري الواقعي الممزوج بالخيال ، وبالاستفهام من الذاكرة والقرية التي ترعرع وتربى فيها بثقافته الحصينة استطاع أن ينمي الشعور بحب الوطن والاعتزاز به والانتماء للوطن والفخر بالهوية الليبية .

8- الشاعر مصطفى بن زكري تمكن بفضل سعة ثقافته وكثرة اطلاعه أن يمزج الأصباغ الفلسفية بألوان الحضارة والترف التي كان يعج بها عصره ليستخرج لوحات فنية رائعة بعثت في الحياة الأدبية الازدهار والحيوية .

9- ابن زكري لم يكن تصويره للمديح شكليا ظاهريا ، بل يغوص في أعماق الصور معبرا عن أحاسيسه ومشاعره بنفس هادئة وإحساس رقيق وَ وديع تبين من اختياره لموضوعاته .

10- استطاع أن يوظف الألفاظ لاستخدامات أدي إلى معانيها بلوغ الغاية في المقصد مما جعلته ينفذ إلى قلوب ممد وحيه .

في الختام أقول أنني لا أدَّعي الكمال – إنما الكمال لله رب العالمين – أقول أنني بذلت قصارى الجهد في سبيل تحقيق الهدف الأسمى وبلوغ الغاية ، بقدر ما توفر لدي من استحقاقات البحث المتنوعة والمختلفة ، بعون الله وسداد منه أختم بحثي الذي حاولت أن أقدم تحليلا شاملا وكاملا لجوانب أدبية وفنية لحياة الشاعر الأديب " مصطفى بن زكري " ، هدفي الوصول إلى نتاج أدبي علمي ليكون منارة يهتدي إليها الباحثون الذين عشقوا روائع الأدب العربي عامة والليبي خاصة ، وأن ينهلوا من منهل البحث ليكون نبراسا في العمل الأدبي ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وما توفيقي إلَّا بالله رب العالمين .

بيان تضارب المصالـــح:

يُقر المؤلف بعدم وجود أي تضارب مالي أو علاقات شخصية معروفة قد تؤثر على العمل المذكور في هذه الورقة

الهوامـــــــــــــش :

1- ينظر لمحات أدبية عن ليبيا : كتب عنه المصراتي في كتابه ، " أعلام من طرابلس " .
2- لمحات أدبية عن ليبيا : ص 247 ، 249 وَإعلان من طرابلس ، ص 225 – 235 ، وَ أخبار بن زكري ، في مقدمة ديوانه ، ص ، 7 – 17 ، الشعر والشعراء في ليبيا ، ص247 ، 249 .
3- محمد كامل مصطفى من تلامذة جمال الدين الأفغاني ، وصديقه السراجي سراج كلاهما تعلما في الأزهر الشريف ، تتلمذا على يديهما الأديب مصطفى بن زكري .
4- الأعلام في ليبيا " الشيخ الطاهر الزاوي " ص340 – 343 ، و ودليل المؤلفين العرب الليبيين " لجنة من العلماء " ص471 -472 .
5- الاتجهات الوطنية في الشعر الليبي الحديث : محمد الصادق عفيفي ، وَ مصطفى بن زكري " أطوار حياته وملامح أدبه " كتاب خاص بحياته وشعره وملامح أدبه " د ، محمد مسعود جبران .
6-أخبار الديوان : مصطفى بن زكري ، ص89 .
7- ينظر لمحات أدبية عن ليبيا : المصراتي ، ص247 ، وَ 248 ، وَ الشعر والشعراء في ليبيا ، محمد صادق عفيفي .
8-البحر البسيط :
تفعيلته ، مستفعلن ، فاعلن ، مستفعلن ، فاعلن * * * مستفعلن ، فاعلن ، مستفعلن ، فاعلن .
9 ـ كلمة " زكري " مكتوبة في الديوان بالذال لَ بالزاي .
10- ينظر مجلة ليبيا المصورة : من مقال " الكامل الهوني " السنة ، الأولى ، العدد الرابع .
11- ينظر ديوان ابن زكري ، القاهرة ، عام 1310هـ ، ص 2 .
12- ينظر لمحات أدبية : للمصراتي ، ص ،170.
13- ينظر لمحات أدبية عن ليبيا : المصراتي ، كتب فضلا في كتابه أعلام من طرابلس ،ص165- .
14- ينظر الديوان : ابن زكري ، ص – من 2 – 6 .
15- ينظر محاضرات الأدب الليبي : الأكاديمية الليبية ، عام 2008م .